الدرس الخامس والعشرون

مقدّمة لسفر القضاة

قضاة 1: 1–3: 6

1. مقدمة

يعكس سفر القضاة تلك الفترة من تاريخ إسرائيل التي استخدم فيه الله "قضاة" لكي يكونوا قادة للأمة في لحظة حاسمة. قبل زمن الملوك لم يكن القضاة حكّاماً سياسيين (بالمعنى الحرفي للكلمة)، أو مرشدين أخلاقيين. وهم يختلفون عن الملوك الذين جاءوا بعدهم في أنه لم يكن في مقدورهم فرض ضرائب على الشعب أو الاحتفاظ بجيش قائم جاهز. وفضلاً عن ذلك، لم يكن في مقدورهم توريث سلطتهم إلى أولادهم وأحفادهم.[1] ولم يكن الغرض الرئيسي من وجودهم حتى تسوية الخلافات المدنية، على الرغم من أنهم ربما قاموا بهذه المهمة أحياناً. بل كان هؤلاء رجالاً (وحتى نساء!) أقامهم الله في أوقات فريدة من أجل إنقاذ لبعض الأسباط أو كلّهم. ويجب أن يكون هنالك أمر واضح لنا: لم يكن دورهم مرتبطاً بمؤهلهم الأخلاقي أو الروحي، بل كانوا مجرّد أداة يستخدمها الله في سيادته في إشرافه على الأمّة. ولا يمكننا حتى التأكد أنه كان هنالك استمرار "للقضاة" في الأمة، إذ كان الله يقيمهم في أوقات تعرّضت فيها الأمة لاضطهاد الأعداء الغرباء.

تتجاوز فترة القضاة سفر القضاة نفسه. إذ يوصف صموئيل بأنه "قاضٍ" للأمة (1صموئيل 7: 15). وعلى الرغم من أن صموئيل حاول أن يعيّن أبناءه قضاة (1صموئيل 8: 1)، فإنه كان من ناحية عملية آخر القضاة، حيث إن ابنيه كانا فاسدين، ولهذا رفضهما شيوخ الأمّة. وتقع أحداث سفر راعوث أيضاً في فترة القضاة. وتشهد شواهد كتابية أخرى على أن هذه كانت فترة متميّزة في تاريخ إسرائيل (انظر قضاة 2: 16–19؛ راعوث 1: 1؛ 2صموئيل 7: 11؛ 1أخبار 7: 10؛ 2ملوك 23: 22).

ربما عند قراءة سفر القضاة أول مرة تكون هناك تجربة أن يُرى السفر كمجموعة من القصص أو سرد لتاريخ الأمّة أثناء تلك الفترة. لكن كلتا هاتين النظريتين خاطئة. فالسفر أبعد ما يكون عن قصص فردية لا يربط بينها رابط قوي، فهي روايات مكتوبة بكل حرص، ومعتمدة إحداها على الأخرى، ومرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً. وفضلاً عن ذلك، فإن السفر ليس مجرّد تدوين تاريخي لتلك الفترة، لكنه *تاريخ لاهوتي*

[1] لنلاحظ محاولة أبيمالك الخرقاء في توريث سلطته لأولاده في قضاة 9–10، بالإضافة إلى محاولة صموئيل العبثية أن يفعل ذلك أيضاً في 1صموئيل 8: 1–5.

للفترة مبني على روايات اختيرت بكل عناية. وهذه الروايات مجمّعة لكي تطرح فكرة لاهوتية جديرة بالاعتبار. وسأتحدث عن هذا الأمر في مقالتي حول رواية جدعون.

2. الإطار التاريخي والترتيب الزمني

يعتمد تاريخ سفر القضاة على الخلاصة التي يتوصل إليها المرء حول تاريخ الخروج. يُرجع بعض الباحثين الخروج إلى فترة متأخرة (حوالي 1270ق م)، ويرون بذلك مدة قصيراً لفترة القضاة، في حين يفضّل آخرون تاريخاً مبكراً (1446ق م).[2] وفي ضوء دراستي الشخصية (متّفقاً مع معظم الباحثين المحافظين)، فإني أُرجع سفر الخروج إلى 1446ق م.[3] ويعتمد هذا الرأي على فهم حرفي لـ 1ملوك 6: 1. وإذا كان تاريخ 1446 صحيحاً، يكون فتح الأرض قد حدث بين 1406–1399ق م.[4] وإذا سمحنا بوقت لزوال "جيل يشوع"، فإنه يمكننا أن نُرجع السفر إلى بداية ارتداد إسرائيل وعبادتها للبعل في 1350ق م.[5]

يقدّم سفر القضاة إشارات ترتيبية زمنية هامة أخرى. غير أن هنالك عاملاً رئيسياً يتمثل في ذكر قضاة 11: 26 أن احتلال إسرائيل لمنطقة عبر الأردن دام مدة 300 سنة. فإذا حدث الفتح الأولي لمنطقة عبر الأردن في عام 1406ق م، فإن من شأن هذا أن يجعل يفتاح يشير إلى سنة 1106ق م في حديثه عن السنوات الثلاث مئة. ونحن نعرف أيضاً أن اضطهاد العمونيين كان قد استمر مدة 18 سنة قبل سنة 1106 (انظر قضاة 10: 8). ومن هنا فقد بدأ الاضطهاد العمّوني في عام 1124 ف م، واستمر حتى 1106 م.

إذ كانت قضاة 10: 7–8 توحي بأن اضطهاد العمونيين والفلسطينيين بدأ في نفس الوقت (كما يقول ميريل)، يكون الاضطهاد الفلسطيني قد بدأ أيضاً في عام 1124ق م. وتقول قضاة 13: 1 إن هذا الاضطهاد استمر 40 عاماً. ومن هنا يؤرّخ الاضطهاد الفلسطيني ما بين 1124–1084ق م. ونحن نعلم أن شمشون "قضى" لإسرائيل مدة 20 سنة ضمن هذه الفترة (قضاة 15: 20؛ في الجزء الأخير منها على ما يُفترض).[6] ومعنى هذا أيضاً أن عام 1084ق م كان تاريخ معركة المصفاة التي قاد فيها صموئيل الأمة إلى النصر على الفلسطينيين (1صموئيل 7: 11–14).

---

[2] لدراسة مسحية للمناهج المختلفة، انظر J. H. John Peet, "The Chronology of the Judges- Some Thoughts, "*Journal of Christian Reconstruction* 9 (1982-83): 161: 81.

[3] J. Paul Tanner, "Dating the Exodus Event: A Survey and Evaluation of the Arguments For the Major Views (unpublished paper for OAL, 372, Bible and History, The University of Texas at Austin, 1987).

[4] انظر عدد 10: 11، تثنية 1: 3؛ يشوع 14: 7–10. لنلاحظ أن كالب كان في الأربعين في عام 1444ق م و85 في عام 1399ق م في نهاية الفتح.

[5] انظر Eugene H. Merrill, *Kings of Priests: A History of Old Testament Israel*, 147-48.

[6] انظر Edwin R. Thiele, The Mysterious Numbers of the Hebrew Kings (Grand Rapids, MI: Eerdmans, 1965), 51-52.

ويمكننا لاعتبارات ترتيبية زمنية أُخرى، أن نرجع تقسيم المملكة إلى سنة 931ق م. وقد حكم كل من شاول وداود وسليمان 40 سنة. ومن هنا، إذا أضفنا 120 سنة إلى عام 931، يكون لدينا عام 1051ق م تاريخاً لتتويج شاول بصفته الملك الأول. ومن هنا تمتد فترة القضاة بشكل تقريبي من 1360–1051ق م، أي فترة تقارب 310 سنوات.[7]

3 . الأصحاحات الافتتاحية

برز جدل كثير من الأصحاحات الأولى لهذا السفر. إذ يوجد تكرار محيّر لخبر موت يشوع في قضاة 1: 1و2: 8، يتبع كل خبر منهما روايات عن فتحٍ وارتداد. ولقد كان المنهج النقدي المعتاد هو اقتباس هاتين الآيتين كدليل على تقليدين متناقضين لم يتم تنقيحهما بطريقة ناجحة. وردّاً على ذلك، أقول إن استنتاجهم هذا ينبع من عدم فهمهم لنيّة الكاتب من كتابة السفر. فمع أن السفر قد يحتوي على إشارتين إلى موت يشوع، فإنه ليس من الضروري إن يؤدي هذا إلى الاستنتاج أنه تم تنقيح روايتين متعارضتين. إذ يوجد حل أفضل هو إدراك وجود مقدّمة مزدوجة متوافقة مع خاتمة السفر المزدوجة. وتخدم كل مقدّمة منها غرضاً مختلفاً.

نجد المقدمة الأولى في قضاة 1: 1–2: 5. كان سفر يشوع قد انتهى مع بقاء قسم كبير من الأرض دون أن يمتلكه بنو إسرائيل، وبقاء قسم كبير من السكان دون طرد. ونجد في 1: 1–7 عمليات تطهير لجيوب المقاومة الكنعانية قام بها سبطا يهوذا وشمعون (اللذان سيشكّلان في نهاية الأمر المملكة الجنوبية). وتؤدي هذه العملية إلى أَسْر أدوني بازق الذي يُساق إلى أورشليم. ومن هنا يعطي القسم التالي (1: 8–15) رواية سابقة لغزو أورشليم (تحتاج إلى شرح)، ثمّ يوضح الاستيلاء على المنطقة الجبلية الذي يصل ذروته في تخصيص حبرون ودَبِير لكالب. غير أن من الضروري أن ندرك أن 1: 8–15 *ارتجاع فنّي* (فلاشباك) يعكس أحداثاً قبل موت يشوع! ثم تستمر الرواية في 1: 16، مبيّنة الفتوحات المستمرّة ليهوذا وشمعون (مع ذكر لبنيامين) في 1: 16–21.

وتبيّن قضاة 1: 22–36 باختصار محاولات الغزو لما سيصبح *الأسباط الشماليين*، وكانت في معظمها غير ناجحة. والملاحظة الهامة حول هذا القسم كلّه هي ما يلي: لماذا لا ينجح بنو إسرائيل إلاّ بشكل جزئي في محاولات الفتح؟ قد يكون من قبيل الاستنتاج المتعجّل

[7] لاشك أنه توجد تعقيدات يجب أخذها بعين الاعتبار فمثلاً، إذا أضفنا كل الأرقام في سفر القضاة، فسيكون لدينا 407 سنوات. وفضلاً عن ذلك يمكن أن يكون هنالك توتر (اختلاف) مع أعمال 13: 19–20 ومشكلة نصّية في 1صموئيل 13: 1. لمعالجة هذه القضايا، انظر Merrill, 150-51. انظر Eugene E. Mirrill, "Paul's use of 'About 450 Years' in Acts 13: 20", *Bibliotheca Sacra* 138-551 (Jul-Sep 1981) 246-57."

القول إن سكان الأرض تفوّقوا عليهم وكأنهم من طبقة أعلى، فنحن نقرأ في قضاة 1: 19، "*وكان الرب مع يهوذا، فملك الجبل، ولكن لم يطرد سكان الوادي لأن لهم مركبات من حديد.*" لاشك أن تلك كانت عقبة كبيرة، لكن ما هذه إلاّ نظرة من المنظور البشري.

فلا شك أن المركبات الحديدية كانت ميّزة للعدو، لكن الحالات العديدة للتدخل الإلهي من قبل يهوه يجب أن تدفعنا إلى النظر بعمق أكبر.

وفي حقيقة الأمر، لسنا مضطرين إلى البحث بعيداً، لأن المشاهد الأخيرة في "المقدمة الأولى" تقدّم لنا الحل الحقيقي (من المنظور الإلهي).

ففي المشهد الأخير (قضاة 2: 1–5) يُجمع الشعب في بوكيم ويوبّخون على عدم تطهير الأرض من عبادة الأوثان.

> . . . وقلتُ: لا أنكثُ عهدي معكم إلى الأبد. وأنتم فلا تقطعوا عهداً مع سكّان هذه الأرض. اهدموا مذابحهم. ولم تسمعوا لصوتي. فماذا عملتم؟ فقلتُ أيضاً: لا أطردُهم من أمامكم، بل يكونون لكم مضايقين، وتكون آلهتهم لكم شركاً (قضاة 2: 1–3).

ومن هنا يصبح الغرض من المقدّمة الأولى واضحاً: فهي تشرح سبب النجاح الجزئي فقط للاحتلال بعد الفتح.

والآن، وبعد أن ذكر السفرسبب عدم نجاح الاحتلال بعد الغزو إلاّ بشكل جزئي، فإنه يقدّم "مقدّمة ثانية" في قضاة 2: 6–3: 6. وبما أنَّ لهذا القسم غرضاً مختلفاً بعض الشيء، فسيرجع الكاتب مرّة أخرى إلى يشوع. ومن هنا نقرأ في 2: 6: "*وصرف يشوع الشعب، فذهب بنو إسرائيل كل واحد إلى مُلكه من اجل امتلاك الأرض.*" يذكرنا هذا التصريح بقوّة بيشوع 24: 28: "*ثم صرف يشوع الشعب كل واحد إلى مُلكه* (ميراثه)." وهكذا فإن القصد من قضاة 2: 6 فصاعداً هو أن يعيدنا إلى تجديد العهد في شكيم والمسجل في يشوع 24. كان هذا الحدث نقطة هامة في تاريخ الأمة، ووقتاً لتوكيد ولائهم ليهوه. ومن هنا نقرأ في يشوع 24: 31: "*وعَبَدَ إسرائيل الرب كل أيام يشوع، وكل أيام الشيوخ الذين طالت أيامهم بعد يشوع والذين عرفوا كل عمل الرب الذي عمله لإسرائيل.*" يريد كاتب سفر القضاة أن يذكّرنا بأن توكيد هذا الولاء قد تم مؤخّراً في شكيم، لأنه يوجد تباعُد مُتزايد عنه بعد زمن يشوع: "*وكل ذلك الجيل أيضاً انضم إلى آبائه، وقام بعدهم جيل آخر لم يعرف الرب، ولا العمل الذي عمل لإسرائيل*" (قضاة 2: 10). وبالمناسبة، هذا يفسّر سبب قيام الرب بالتنبير كثيراً على الإرشاد ونقل الإيمان من الأب إلى الابن (انظر خروج 13 وتثنية 6).

بعد أن بيّن الكاتب نقص الجيل التالي، لن يلجأ في بقية القسم (2: 11–3: 6) إلى تفصيل الانتصارات والهزائم (كما رأينا في المقدّمة الأولى). لكنه يضع المبادئ التي سيتعامل الرب بموجبها مع شعبه الذين رفضوا أن يتخلّصوا من عبادة الأوثان. عصى بنو إسرائيل وذلك بتسامحهم مع المذابح الكنعانية الوثنية (الإبقاء عليها) وبقطع عهود مع سكّان الأرض. وهكذا استجاب الله بأن جعل من المستحيل على بني إسرائيل أن يطردوا الكنعانيين. ومع أن الله كان في الأصل يريد إبادة الكنعانيين تماماً، إلاّ أنه عدل عن مشيئته هذه بسبب عصيان

الشعب. وبدلاً من إبادة الكنعانيين، فإنه سيجعلهم يبقون، وسيستخدمهم لتأديب شعبه. يُعِد هذا الأمر المسرح للسفر كلّه: سيتأثر بنو إسرائيل بالكنعانيين المتبقّين، وسينسون يهوه، وسينجرفون في الارتداد. وعلى الرغم من "البدايات الجديدة" العديدة، إلاّ أن نفس الشيء سيحدث مرّة تلو الأخرى.

وستقع أثناء هذه الفترة أحداث يقوم فيها غزاة أجنبيّون بغزو الأرض، وسيقيم الله "قضاة" لكي يواجهوا هذه التهديدات. وسيسجل لنا معظم السفر (3: 7–15: 20) سلسلة من الغزوات وإقامة قضاة. لكن "المقدمة الثانية" ستتوسع في الحديث عن هذه المبادئ التي ستعمل أثناء هذه الفترة. وتكشف الآيات 2: 11–19 النمط العام الذي سيحدث مرة بعد مرة عبر هذه المشاهد:

1) تفعل الأمة الشر وتترك يهوه،
2) يرسل يهوه "ناهِبين" لكي يغزوا الأرض ويخرّبوها؛
3) يصل الشعب إلى مرحلة يأس ويصرخون طالبين الإنقاذ،
4) يتحنن يهوه ويقيم قاضياً لتخليص الأمة (يحافظ هذا القاضي أحياناً على عدالة الحكم مدة حياته)؛
5) ستعود الأمة إلى الارتداد وستتصرف بشكل فاسد أكثر من ذي قبل.

يمكننا القول في ضوء هذا النمط إن القسم الأوسط من السفر *دائري*، لأن هذا النمط يتكرر مرّة بعد أخرى. ويبدو أن هذا يخدم غرضاً، ألا وهو تبيان أن الأمة لا تتعلّم أبداً . . . فهم يستمرّون في فشلهم ولا يصبحون مع الزمن إلا أكثر إصراراً على عصيانهم. لكن علينا أن نكون حذرين في استخدمنا كلمة "دائري" أو "دورة"، إذْ لسنا أمام مجرّد تكرار للدورة بنفس الطريقة كل مرّة. فهنالك انحطاط مع تقدّم الزمن، ويوجد *قدْر متناسب من القسوة* في طريقة تعامل الله مع كل دورة. نقرأ في قضاة 2: 19:

وعند موت القاضي كانوا يرجعون ويفسدون أكثر من آبائهم، بالذهاب وراء أخرى ليعبدوها ويسجدوا لها. لم يكفّوا عن أفعالهم وطريقهم القاسية.

من هنا فإن *للمقدمة الثانية* غرضاً متميّزاً بالمقارنة مع المقدّمة الأولى: ستوضح هذه المقدّمة النمط الذي سيتعامل الله بموجبه مع الأمّة مستقبلاً.

وتُعطى أسباب أخرى لعدم استطاعة إسرائيل طرد أعدائها : (1) بقي الأعداء في الأرض لكي يكونوا امتحاناً لولاء إسرائيل (قضاة 2: 21–23؛ 3: 4)؛ (2) بقي الأعداء كأدوات تأديب للأمة بيد يهوه (2: 14–15).

نخلُص إذاً إلى أن سفر القضاة ليس رواية أو طبعة سيّئة التنقيح، مبنية على روايتين تاريخيتين متناقضتين، تتضمن إعلانين لخبر موت يشوع. بل توجد لدينا مقدّمتان متميّزتان لكل واحدة منهما غرضها الخاص:

المقدّمة الأولى (1: 1–2: 5) – تشرح سبب نجاح الاحتلال التالي للفتح بشكل جزئي فقط (رفض الشعب أن يطهّروا الأرض من عبادة الأوثان).

المقدّمة الثانية (2: 6–3: 6) تشرح كيف سيتعامل الرب مع الأمّة مستقبلاً (باستخدام قوّة أجنبية من أجل امتحان ولائهم ومن أجل تأديبهم)

4. المنظور الواسع

ليس سفر القضاة، كما سبق أن ذكرت، مجرّد رواية لتاريخ إسرائيل في هذه الفترة. ويتضح هذا من ملاحظة الإطار الكتابي للسفر:

الدور الانتقالي للقضاة

عندما نلاحظ سفر القضاة من منظور أوسع، فإننا مجبرون على أن نسأل: ما الخطأ الذي حدث؟ هل كان الرب عاجزاً عن تأمين حماية لشعبه؟ من الواضح أن العيب لم يكن في الرب. لقد قصد لسفر القضاة أن يشكّل جسراً من سفر التثنية إلى تتويج ملك في 1صموئيل. قدّم لنا سفر التثنية المبادئ التي سيتعامل الرب بموجبها مع أمّة العهد التي هي *تحت الشريعة الموسوية* (انظر تثنية 28–30)، فهو سيباركهم عندما يطيعون، وسيلعنهم (يؤدّبهم) عندما يعصون. وسيكون استخدامه للقوة الأجنبية التي تغزو الأرض جزءاً من تأديبه. ويقدّم سفر القضاة الدليل على فشل إسرائيل في أن ترتفع إلى مستوى بنود العهد لمدة 300 سنة. فالأمور لا تتحسن؛ بل تسوء.

وفشلهم أمر لا عذر له مطلقاً، خاصة في ضوء طقس شكيم الاحتفالي في ختام سفر يشوع؛ إذ كان الشعب قد أعلنوا: "نعبد الرب لأنه هو إلهنا." (يشوع 24: 18). وقد نبّههم يشوع حتى في ذلك الحين:

إله غيور هو؛ لا يغفر ذنوبكم وخطاياكم. وإذا تركتم الرب وعبدتم آلهة غريبة، يرجع فيسيء إليكم بعد أن أحسن إليكم. (يشوع 24: 19–20)

كان تحذير يشوع نبوياً بالفعل، لأن الشعب فشلوا بشكل ذريع على مدى فترة القضاة. وعند وصولنا إلى نهاية السفر، ندرك أن هنالك حاجة إلى تغيير جذري، وأن التغيير سيكون بداية إدخال "الحكم الملكي". وعلى الرغم من أن إسرائيل ستطلب "مِلكاً" (1صموئيل 8)، وهو طلب مبني على دوافع غير نقية، فإنَّ القصد من سفر القضاة هو أن يمهّد الطريق لمجيء الملوك. ومن هنا نسمع التعليقات المتكررة في خاتمة الكتاب: "*وفي تلك الأيام لم يكن ملك في إسرائيل.*" (17: 6؛ 18: 1؛ 19: 1؛ 21؛ 25). يهدف سفر القضاة إلى أن يكون شاهداً على فشل إسرائيل في أن ترتفع إلى مستوى بنود العهد التي كان يمكن لله أن يباركهم بموجبها تحت الحكم الثيوقراطي (الديني / الإلهي)، ومن هنا فإنه يعدّ المسرح لمحاولة إقامة حكم ملكي.

ولسوء الحظ، فإنه لا يمكن لملك بشري (هو نفسه خاطئ) أن يكون العلاج لمشكلة الشعب الحقيقية. فحاجتهم الحقيقية هي إلى "قلب جديد" (وهو ما سيقدّمه *العهد الجديد*). لكن الله سيأتي في خطّته الرائعة بـ "ملك مثالي" (انظر 2 صموئيل 7) سيعطي الشعب قلباً جديداً عن طريق عهد جديد. ومن هنا كان من المحتّم أن تتجه *القصّة* في اتجاه إيجاد ملك، لأنه سيكون في نهاية الأمر الوسيلة التي سينجز الله من خلالها مقاصده لأمة إسرائيل ويحقق وعده باستخدام إسرائيل لمباركة جميع قبائل الأرض (تكوين 12: 1–3). ولأن بني إسرائيل يفشلون تحت حكم القضاة، فإنهم يتوجّهون بطلب ملك، لكي يكون لهم في يوم ما الملك النهائي الأسمى. . . الرب يسوع المسيح.